١٠ ــ أزواج الوليد بن يزيد

قال «السيوطي» في «تاريخ الخلفاء»: «الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم» الخليفة الفاسق، أبو العباس، ولد سنة تسعين، فلما احتضر أبوه لم يمكنه أن يستخلفه لأنه صبي، فعقد لأخيه «هشام» وجعل هذا ولي العهد من بعد «هشام»، فتسلم الأمر عند موت «هشام» في ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة، وكان فاسقاً، شريباً للخمر، منتهكاً حرمات الله، أراد الحج ليشرب فوق ظهر الكعبة، فمقته الناس لفسقه، وخرجوا عليه، فقتل في جمادى الآخرة سنة ست وعشرين.

وعنه أنه لما حوصر قال: ألم أزد في أعطياتكم؟ ألم أرفع عنكم المؤن، ألم أعط فقراءكم؟ فقالوا: ما ننقم عليك من أنفسنا، لكن ننقم عليك انتهاك ما حرَّم الله، وشرب الخمر، ونكاح أمهات أولاد أبيك، واستخفافك بأمر الله.

ولما قتل وقطع رأسه وجيء به «يزيد الناقص» نصبه على رمح، فنظر إليه أخوه «سليمان بن يزيد» فقال: بُعْداً له، أشهد أنه كان شروباً للخمر، ماجناً، فاسقاً، ولقد راودني على نفسي[1].

وحكى «الماوردي» في كتاب «أدب الدنيا والدين» عنه أنه تفاءل يوماً في المصحف، فخرج له قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾﴾ [إبراهيم، الآية: ١٥] ، فمزَّق المصحف وأنشأ يقول:

أتُوعِدُ كل جبارٍ عنيدِ ... فها أنا ذاك جبار عنيدُ

إذا ما جئت ربك يوم حشرٍ ... فقل يا رب مَزَّقَني الوليدُ

فلم يلبث إلا أياماً يسيرة حتى قتل شر قتلة، وصلب رأسه على قصره، ثم

---

(١) تاريخ الخلفاء، ص: ٢٢٠ ـ ٢٢١.

على أعلى سور بلده[١].

وذكره «السيوطي» في «تاريخ الخلفاء»: وقد ورد في مسند أحمد حديث: **«ليكونن في هذه الأمة رجل يقال له «الوليد» لهو أشد على الأمة من فرعون لقومه»**.

وقال «ابن فضل» في «المسالك»: «الوليد بن يزيد»، الجبار العنيد، لقباً ما عداه، ولقماً سلكه فما هداه، فرعون ذلك العصر الذاهب، والدهر المملوء بالمعائب، يأتي يوم القيامة يقدم قومه فيوردهم النار، ويرديهم العار، وبئس الورد المورود، والمورد المردي في ذلك الموقف المشهود، وشق المصحف بالسهام، وفسق ولم يخف الآثام[٢].

وأما عن نسائه وأولاده فقد ذكر «المصعب الزبيري» في «نسب قريش»: فوَلَدَ «الوليد بن يزيد بن عبد الملك»؛ «عثمانَ» المذبوحَ في السجن، وأمه «عاتكة بنت عثمان بن محمد بن عثمان بن محمد بن أبي سفيان بن حرب بن أمية»، و«يزيدَ» و«الحكمُ»، المذبوحَ في السجن؛ و«العباسَ» وبه كان يكنى، و«فِهْراً» و«لؤياً» و«العاصيَ» و«موسى» و«قُصَيًّا» و«واسطاً» و«ذؤابة» و«فتحاً» و«الوليد» و«أمَّ الحجاج»، تزوجها «محمد بن يزيد بن الوليد بن عبد الملك»، ثم خلف عليها «يحيى بن عبد الله بن مروان بن الحكم» و«أمة الله بنت الوليد» تزوجها «عبد العزيز بن الوليدَ بن عبد الملك»، وبنو الوليد هؤلاء لأمهات أولاد شتى، و«سعيدَ بن الوليد» وأمه «أم عبد الملك بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان».

وكان «يزيد بن الوليد بن عبد الملك» الملقَّب بالناقص هو الذي قتل ابن عمه «الوليد بن يزيد» وتملَّك، وأمه «شاهفرند بنت فيروز بن يزدجرد»، وأم فيروز بنت شيرويه بن كسرى، وأم شيرويه بنت خاقان ملك الترك، وأم أم فيرون بنت قيصر عظيم الروم، فلهذا قال «يزيد» يفتخر:

---

(١) انظر حياة الحيوان الكبرى للدميري، (١/ ٧٢).

(٢) تاريخ الخلفاء، ص: ٢٢٢.

أنـــا ابـــن كـــســـرى وأبـــي مـــروان وقـــيـــصـــر جـــدي وجـــدي خـــاقـــان

قال الثعالبي: أعرقُ الناس في الملك والخلافة من طرفيه.

ولما قتل «يزيدُ» الوليد، قام خطيباً، فقال: أما بعد، إني والله! ما خرجت أشراً ولا بطراً ولا طمعاً، ولا حرصاً على الدنيا، لا رغبة في الملك، وإني لظلوم نفسي إن لم يرحمني ربي، ولكن خرجت غضباً لله ولدينه، وداعياً إلى كتابه وسنة نبيه ﷺ حين دَرَسَتْ معالم الهدى، وطفىء نور أهل التقوى، وظهر الجبار المستحل للحرقه، والراكب البدعة، فلما رأيت ذلك أشفقت إذ غشيتكم ظلمة لا تقلع عنكم على كثرة من ذنوبكم، وقسوة من قلوبكم، وأشفقت أن يدعوَ كثيراً من الناس إلى ما هو عليه فيجيبه، فاستخرتُ الله في أمري، ودعوتُ مَنْ أجابني من أهلي وأهل ولايتي، فأراح الله منه البلاد والعباد، ولاية من الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

أيها الناس! إن لكم عندي إن وليتُ أموركم ألَّا أضع لَبِنة على لَبِنة، ولا حجراً على حجر، ولا أنقل مالاً من بلد حتى أسد ثغره، وأقسم بين مصالحه ما تقوون به، فإن فضَلَ فضلٌ رددته إلى البلد الذي يليه، حتى تَسْتقيم المعيشة، وتكونوا فيه سواء، فإن أردتم بيعتي على الذي بذلت لكم فأنا لكم، وإن مِلْتُ فلا بيعة لي عليكم، وإن رأيتم أحداً أقوى مني عليها فأردتم بيعته فأنا أول من يبايعه، ويدخل في طاعته، وأستغفر الله لي ولكم.

وقال ابن عبد الحكم: سمعت الشافعي رحمه الله يقول: لما ولي «يزيد بن الوليد» دعا الناس إلى القدر وحَمَلَهم عليه، وقَرَّب أصحاب غيلان.

ولم يكمل ستة أشهر في خلافته، وتوفي سنة ست وعشرين ومائة.

ثم بويع أخوه «إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك» فما تعدَّى حكمه السبعين يوماً، ثم خلفه «مروان بن محمد» بعد أن خلع نفسه وسلمه الأمر، وتم قتله مع مَن قتل من بني أمية، وظهر «أبو العباس السفاح» في الكوفة، وبويع له بالخلافة فجهز جيشاً بقيادة عمه «عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس» لقتال «مروان بن محمد» فالتقى الجمعان بالزاب زاب الموصل، واقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم «مروان» وقتل من عسكره وغرق كثيرون، وهرب «مروان» إلى مصر، فتبعه

«صالح بن علي» عم السفاح وأخو «عبد الله بن علي»، وتمكن من قتل «مروان بن محمد» بأبي صير، إحدى قرى الصعيد، فقال حين قتل: لقد انقرضت دولتنا، وكان «مروان» قد عرف بالشجاعة والشدة والحزم، وبموته أفلت شمس دولة بني أمية.